ملخص بحث

الحمد لله الذي أنزل علينا القرآن وأورثه من اصطفاه والصلاة والسلام على خير من نطق بمكنون أسرار البيان وعلمه وارتضاه سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اتبع هداه، واقتفى أثره وترسم خطاه.

أما بعد:

فإن الخوض في المعاني الدقيقة لألفاظ القرآن الكريم يكشف سر اختيار الكلمة القرآنية وما لها من معاني دقيقة وما لها من مكانة من حيث رصانتها ودقة مدلولها ، وهذا جعل الدارسون يهتمون بها ويعدونها خطوة من خطى التفسير البياني ، ومن أجل هذا كله وقع اختياري على هذا الموضوع وقد اقتضت طبيعة البحث أن يكون مقسما على ثلاث مباحث ، يسبقها المقدمة وضحت فيها أهمية البحث وتفاصيل الخطة التي سار عليها البحث، والتمهيدٌ وضحت فيه الذوق العالي التي امتازة بها الغة العربية وهذا الذوق جاء من لسان العرب أنفسهم لما كان لهم من حسن مرهف وذوق عالي لمعاني الألفاظ العربية وعذوبة وأصالة اللفظة العربية أيضاً، ومن ثم تناولت المباحث .

فالمبحث الأول: ذكرت فيه اختيار المفردة ومقام الآية والمناسبة ، حيث أن نظم القرآن المعجز والمتكون من كلمات لا تكون نافرة متغلغلة في مكانها ، ولا تكون حشواً يستغنى عنه ، فلا زيادة ولا نقصان يعتريه ، لأن الفكرة فيه هي التي تحدد أسلوبه ، والمبحث الثاني تكلمت فيه عن دقة اختيار المفردة في كلام الله ودقة مدلولها ، حيث أن سر اختيار اللفظة في القرآن الكريم يكمن في دقة مدلولها وهذا ما أعجز العرب على أن يأتوا بمثل هذا القرآن وهذا واضح من خلال التحدي الذي هو موجود في القرآن الكريم والذي تحدى به العرب على أن يأتوا ولو بآية من مثله، وهذا بدوره يكشف لنا سر من أسرار الإعجاز القرآني من حيث النظم الذي جاء به القرآن العظيم والمبحث الثالث: تكلمت في عن اختيار المفردة وموافقتها للانسجام الصوتي وهذا يتأتى من خلال مقام الآية حيث أن العرب كانت أمة أمية تعتمد في حفظها

على السمع وهذا ما أضفى للعربي فن تذوق المعاني ومدلولاتها التي وجدت من أجلها اللفظة العربية وجماليتها الموسيقية التي تؤثر في نفس السامع ، وهذا يعزى الى تلك الأمة حين كان الأدب فيها أدب الأذن لا أدب العين، فحين إعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي اكتسبت الأذن المران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة ، وقد ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها في البحث ، ومن ضمن ما ثبت لي في النتائج ، هو أن إن الألفاظ القرآنية لها بناء صوتي يمكن ملاحظته من خلال تتبع الآيات القرآنية وخاصة تلك التي لها انسجام صوتي واحد يظهر في أواخر الآيات، ولطافة العبارات القرآنية مقارنة بألفاظ العرب ؛ وذلك لما للفظة القرآنية من فصاحة العبارة.

والحمد لله أولاً وأخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين

Summary Search

Praise be to God, who sent down to us from the Koran and bequeathed chosen by prayer and peace on the best of pronunciation Bmknon secrets and knowledge of the statement and was favored by the Prophet Muhammad and his family and companions and follow his guidance , and traced his footsteps and paint .

After:

The delve into the nuances of the words of the Koran reveals the secret word choice Quranic and their meanings minutes and their position in terms of Rsantha and accuracy of its significance , and this made the scholars care about it and they consider the step of footsteps interpretation chart , and for all of this occurred optional on this subject has been required by the nature of the research to be divided into three sections , preceded provided and explained to them the importance of research and the details of the plan, which marched them strictly , and boot and sacrificed a taste of higher Amtazh by the Arabic Language and the taste came from the lips of the Arabs themselves because they had the good slender taste and high of the meanings of words Arab and freshness and originality Arabic word too, and then dealt with the detective .

Valambges first : According to the choice of the individual and the place of the verse and appropriate , as the systems Quran miraculous and consisting of words not be obtrusive pervasive in place , do not be a tautology indispensable , no more and no less marred , because the idea which are determined by the style , and the second part, I spoke it for the accuracy of choice of the individual in the Word of God and the accuracy of its significance , as the secret of choosing word in the Koran lies in the accuracy of its significance and this is what I can not Arabs to come to such a Quran and this is evident through the challenge that is in the Koran , which challenged the Arabs to come had a verse of the like , and this in turn reveals the secret

of secrets Quranic miracle in terms of systems , inspired by the Holy Qur'an and the third section , speaking in the choice of the individual and consent of the harmony voice that comes through the shrine verse where the Arabs were illiterate nation depends saved on hearing this is what gave the Arabic art of tasting the meanings and implications that I found for her Arabic word and its beauty musical that affect the same listener , and this is due to that nation when literature was the literature of the ear is not literature eye , when adopted people on their ears in judging the text language has gained the ear training session and to distinguish between differences audio minute , has concluded Find the most important findings in the search , and within what proved to me in the results, is that the words of Quranic its building voice can be seen by tracking the Quranic verses , especially those that have a harmony one voice appears in the late verses , and amenities compared to the wording of the Quranic phrases Arabs ; that is because of the eloquence of the Quranic word phrase .

Thank God first and foremost and may Allah bless our Prophet Muhammad and his family and companions

المقدمة

الحمد لله الذي علم القرآن خلق الإنسان علمه البيان ، والصلاة والسلام على أكرم مبعوث وأعرب من نطق بالبيان سيدنا محمد ﷺ وعلى آله وصحابته نجوم العرفان، ومن تبعهم إلى يوم الدين بإحسان أما بعد :

فمن الخصائص العليا التي امتاز بها بديع النظم القرآني بيان المفردة القرآنية فقد شغل الدارسون المحدثون بيان المفردة القرآنية من النظم المعجز والسعي للوصول إلى سر ذلك الإنجاز ومن ثم جهد دارسو الإعجاز في الكشف عن أبعاد المفردات القرآنية ومدى موافقتها المناسبة التي ترد فيها.

ولعل البحث في المعاني الدقيقة لألفاظ القرآن الكريم وسر اختيار الكلمة القرآنية وما لها من مكانة من حيث رصانتها ودقة مدلولها جعلت الدارسين يهتمون بها ويعدون تفسير هذه اللفظة خطوة من خطى التفسير البياني وعلى هذا الأساس فقد قسمت بحثي هذا على تمهيد تناولت بشكل عام ما للفظة القرآنية من أهمية من خلال مدلولها وسر إعجازها في القرآن الكريم ، ومن ثم قسمت البحث على ثلاث مباحث.

المبحث الأول: تناولت (اختيار المفردة ومقام الآية والمناسبة) باعتبار أن النظم القرآني معجز من خلال نظم الكلمات وترابطها وما للفظة من مكانة من حيث دقة التعبير والمدلول.

المبحث الثاني:- (دقة اختيار المفردة في كلام الله ودقة مدلولها) حيث تناولت اختيار اللفظة وما لها من لطافة في دقة اختيارها في مكانها المعجز.

المبحث الثالث:- اختيار المفردة وموافقتها للانسجام الصوتي) على أن كل لفظة في القرآن لها انسجام صوتي من خلال تركيبها.

فإني تناولت الشيء اليسير في هذا البحث إذ إن القرآن الكريم لا تنقطع أسراره ولا عجائبه وأسأل الله أن يستر كل عيب وكل زلة خط بها القلم.

والله ولي التوفيق.

تمهيد

إن الأداء القرآني يمتاز بالتعبير عن قضايا ومدلولات ضخمة في حيز يستحيل على البشر أن يُعبروا فيه عن مثل هذه الأغراض ، وذلك بأوسع مدلول ، وأدق تعبير مع التناسق العجيب بين العبارات والمدلول.

وهذا السر الإلهي ليس خفياً على متذوق العربية وفَنِّ الكلام، وهذه الخاصية للمفردة القرآنية تسري في الآيات في تلاؤم تام ، ولا يمكن أن نعدَّها تفضلاً أو ترفاً ذهنياً ، كما هو الحال في كثير من الآداب ، بل هي – المفردة – سامية بنيتها إلى منزلها في إطار من البيان الذي يعيه العرب خاصة ، فعلى قدر ما تكون الجهة المبدعة قوية تخرج الكلمات قوية مؤثرة ، وقريب من هذا ما يقوله لاسل أبركُرُمين:((إن المهارات في الأدب لا تتناول أيضاً ما للمتحدث من شخصية قد يكون أثرها أكبر وأعمق من أثر الألفاظ))(١) .

ونرى أن العلماء أجهدوا أنفسهم في بيان مقاييس الجمال في الكلمة فاشترطوا أن تكون خالية من :

تنافر الكلمة ، ومن مخالفة أوضاع اللغة، ومن الغرابة ، وهذه الشروط هي عوامل مساعدة لمن وهبه الله فقه اللغة وسر العربية.

والحقيقة أن تذوق الكلمة العذوبة ووضعها في أي تغير جميل أو أسلوب آخذ مؤثر ، هو من طبيعة النفس ذات الذوق السليم ، ونظر ثاقب مستقيم ، وهو عمل يميل إليه السمع ، ويألفه الطبع السليم(٢).

وقد كان القرآن الكريم دقيقاً في اختيار ألفاظه ، وانتقاء كلماته ، فالكلمة هي اللبنة المستخدمة في البناء اللغوي في بناء اللغة ، وذلك البناء الفكري الذي يُعدُّ مظهراً من مظاهر وعي الإنسان وسموِّه على المخلوقات الأخرى ، وهي أداته التعبيرية في توصل المعنى ، وتعد المفردة القرآنية هي الأساس الأول في البيان

---

(١) ينظر:جماليا المفردة القرآنية: ٣٠-٣١.

(٢) ينظر: صفاء الكلمة :٢ ، والبناء الصوتي في البيان القرآني:٣٤.

القرآني ، لأنها تعد المصدر الرئيس في ربط المرء بالواقع : الواقع النفسي في القدرة على إثارته على مر العصور.

فتتبو مكوِّنات أساسية في السلوك البشري ، وههنا مخاطبة الخالق لما خَلق. وكذلك الواقع المحسوس في تصور جزئيات في الطبيعة الصامتة والمتحركة ، والمشاهد المألوفة ، وتقريب ما هو ليس بمألوف بإثارة الحواس والبصيرة.

ولغة القرآن الكريم عربية ، وإذا قلنا أن جمالية المفردة هي من مصدر الفن الأدبي ، وحجته الأولى هي اللسان العربي الفصيح ، وطبيعة الفن ، وليس الدافع الديني فحسب بل حجته من خلال السر الإلهي الذي نلمسه في الكلام المبين ؛ لذلك فإن الله عز وجل تحدى العرب وهم أصحاب الفصاحة على أن يأتوا بمثل هذا القرآن فقال عز من قائل:﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ ﴾(١)

ومما لا شك فيه أن الجاحظ وأقرانه نظروا إلى المفردة نظرتهم إلى هيئتها المعجمية ، فرأوا الجمال في تكاتفها مع غيرها في النسق القرآني ، حيث أن إضفاء كلمة واحدة معاني جليلة على النص ، إضافة إلى استخدام المادة الصوتية في صيغ جديدة ما عَهدَها العرب، كالحاقة ، والصاخة ،والقارعة ،وغير هذا(٢) .

ولا يفوتنا أن العرب تميزت بالحس المرهف ، فهم يتأثرون أشدَّ التأثر بما يسمعون ، فإذاً إن للكلمة قدسيتها في كلامهم فهم يحاربون ويصالحون ويُكرمون نتيجة سماعهم الكلمات ، إذاً هم يدركون القيمة الموسيقية في القرآن الكريم بسبب معايشتهم لفن الشعر والخطابة واهتمامهم البليغ بالكلمة ، وقد قال الزرقاني: ((هذا الجمال الصوتي أو النظام التوفيقي ، هو أول شيء أحسته الأذن العربية أيام نزول القرآن ، ولم تكن عهدَت مثله فيما تَرفت من منشور الكلام ، سواء كان مُرسلاً أم مسجوعاً حتى خيل إلى هؤلاء العرب أن القرآن شعر))(٣) .

---

(١) الطور: ٣٤

(٢) ينظر: جمالية المفردة القرآنية: ٤٤.

(٣) ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن:٢/٢٠٦.

ونحو ذلك ما ذكره الرافعي إذ يقول: ((رأوا حروفه في كلماته وكلماته في جمله ألحاناً لغوية رائعة ، كأنها لأتلافِها وتناسبها قطعةٌ واحدةُ ، قراءتها هي توقيعها ، فلم يَفُتْهم هذا المعنى ، وأنه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم))(١) .

ومن الممكن أن نعزو هذه الملكة السمعية إلى ضخامة مساحة الأميّة بين العرب حينئذ بالإضافة إلى كثرة استماعهم للشعر الذي صوّر شؤون حياتهم جميعها ، ولهذا كان السمع هو المعيار الأول ، وفي هذا الصدد يقول إبراهيم أنيس: ((وفي رأيي أن هذه الظاهرة الموسيقية في اللغة العربية تُعزى إلى تلك الأميّة حين كان الأدب أدب الأذن لا أدب العين ، وحين اعتمد القوم على مسامعهم في الحكم على النص اللغوي ، فاكتسبت تلك الأذن المِران والتمييز بين الفروق الصوتية الدقيقة))(٢) .

---

(٤) إعجاز القرآن:٢١٤.
(١) دلالة الألفاظ: ١٩٥.

المبحث الأول

اختيار المفردة ومقام الآية والمناسبة

إن نظم القرآن المعجز والمتكون من كلمات وهذه الكلمات لا تكون نافرة متغلغلة في مكانها، ولا تكون حشواً يستغنى عنه ، والموضوع القرآني كذلك خصص له حجم معين فلا زيادة فيه ولا نقصان، لأن الفكرة هي التي تحدد أسلوبها، وهنا يمتاز ابن أبي الإصبع(١) بشيء من الإحاطة في هذا المجال، فلتأكيد استحقاق مفردة ما بالموضع يذكر آيات أخرى، ليبين أن السياق يتطلب هذه الكلمة هنا، وتلك هناك، إذ ترد الآيات التي ورد فيها كل من الطين والتراب ليبسط الفرق بينهما، وهو يلتقي في هذه الميزة بالخطيب الإسكافي(٢).(٣)

ومن نظراته الثاقبة ربط المفردة الغريبة بغرابة الموقف، ومن ذلك شواهد كثيرة منها ما جاء في سورة يوسف، يقول عز وجل على لسان أبناء يعقوب عليه السلام: ﴿قَالُواْ تَاللَّهِ تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾(٤) فقد قال ابن أبي الإصبع في باب ائتلاف اللفظ، والمعنى، وهو في مفهومنا المعاصر احتواء المفردة موضوعها: فإنه سبحانه أتى بأغرب ألفاظ القسم بالنسبة إلى أخواتها،

---

(١) زكي الدين أبو محمد عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن عبد الله المعروف بابن أبي الإصبع الفقيه الشافعي النحوي الأديب الفاضل شاعر مفلق مشهور له مصنفات في الأدب ولد غرة محرم سنة خمس وتسعين وخمسمائة بمصر المحروسة وتوفي يوم الأثنين الثالث والعشرين من شوال سنة أربع وخمسين وستمائة بمصر، ينظر: السلوك: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن على بن عبد اقادر العبيدي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية –لبنان بيروت ، الطبعة الأولى– لسنة (١٤١٨– ١٩٩٧).

(٢) أبو المظفر محمد بن محمد بن الحسن يعرف بابن قزمي الخطيب الإسكافي وتوفي سنة ثلاث وخمسين وخمس مائة ينظر: طبقات الشافعية الكبرى لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت٨٥١)، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ ، ٢٦٠/٧ ، و الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م،١٢٨/١.

(٣) تحرير التحرير : ١٩٤.

(٤) يوسف: ٨٥

فإن (والله) و(بالله) أكثر استعمالاً، وأعرف عند الكافّة من (تالله) لما كان الفعل الذي جاور أغرب الصيغ التي هي في بابه، فإن (كان) وأخواتها أكثر استعمالاً من (تفتأ) وأعرف عند الكافة ولذلك أتى بعدهما بأغرب ألفاظ الهلاك وهي لفظة (حرض) ولما أراد غير ذلك قال في غير هذا الموضع قال تعالى:

﴿ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن ﴾(١)وذلك أن جميع هذه الألفاظ مستعملة.

ومن ذلك أيضاً الدقة في اختيار الكلمات في الآية كما في قوله عز وجل ﴿ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ﴾ (٢)

إن القرآن الكريم على الالتزام بدقة التعبير في اختيار الكلمة كما في الآية حيث يحض الأعراب على أن يلتزموا الدقة في اختيار الدقة فيقولون: [أسلمنا] بدل [آمنا] حتى تقع الكلمة على معناها الحقيقي دون تحريف.

ومن البديع في هذه الآية أن الله سبحانه وتعالى بعد أن أغلظ عليهم وجهلهم بعدم الدقة في استعمال الكلمات في محلها، أدخل على الكلام شيئاً من المحاسن، وستر الغلظة بنوع من اللطائف، فأتى بأداة الاستدراك، فقال: ((ولكن قولوا أسلمنا))، فلو اقتصر على ما دون الاستدراك لكان الكلام فيه تنفير له وإساءة فأوحيت البلاغة وحسن التلطف في العبارة ذكر الاستدراك.(٣)

ومن ذلك آيات كثيرة.

بأن آيات القرآن الكريم بميزاتها المنضبطة ومقياسها الدقيق جعلت من الكلام فيه من البلاغة ما يوافق معانيه، وقد استرعت ألفاظ القرآن وخصائصها أنظار العلماء، فقال الراغب الأصفهاني.(٤)

---

(٥) الأنعام: ١٠٩
(١) الحجرات: ١٤
(٢) صفاء الكلمة : ٨.
(٣) مقدمة المفردات للراغب الأصفهاني.

((ألفاظ القرآن هي لبُّ كلام العرب، وزبدته، وإن ما عداها وعداً، والألفاظ المشتقات فيها كالقتور والنوى بالنية إلى أطايب الثمر وكالحثالة والتبن بالنسبة الى لبوب الحنطة.

فقد أحاط الله– جلّ شأنه– باللسان العربي، فمخضه، وألقى زبدته في كتابه الكريم، وقرآنه العظيم)).

فالكلمات التي تألفت منها الجمل القرآنية، تمتاز بجمال وقعها في السمع واتساقها الكامل في المعنى، حتى لكأنك تشم منها رائحة المعنى المطلوب وتلمح فيها صورة المضمون أمام العين.(١)

---

(٤) ينظر: جماليات المفردة القرآنية: ١٠٢، ودقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني: ٥٣.

المبحث الثاني

دقة اختيار المفردة في كلام اللّه ودقة مدلولها

إن سر اختيار اللفظة أو الكلمة في القرآن الكريم يكمن في دقة مدلولها وحين يصعب على البشر أن يعبروا عن قضايا ومدلولات بهذا الكم الموجود في القرآن الكريم وهذا هو سر من أسرار الإعجاز القرآني فإن القرآن الكريم قد عبر عن قضايا وتغييرات بأوسع مدلول وأدق تعبير، مع التناسق العجيب بين العبارات والمدلول.

ولنأخذ نماذج من هذه القضايا التي عبر عنها القرآن الكريم مثل قوله تعالى في وصف خروج القطر من السحاب:

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾(١) ، وحيث يقول أمرؤ القيس فيما معنى ذلك:

فألقى بصحراء الغبيط بعاعه(٢)

فإذا تأملنا ما بين اللفظتين [الودق] و[البعاع] وجدنا أن لكل واحدة منها مدلولاً [فالودق] يعني الرقة واللطافة أما لفظة [البعاع] فتدل على الغلظ والبشاعة وهذا يدل على أن الفصاحة راجعة إلى اللفظ، لأجل دلالته على معناه الذي وضع من أجله.(٣)

وهذا هو الأصل الذي كان يؤثر في ذوق العربي حين يسمع وينقد، وهو ما تعارف عليه أهل البلاغة وصناعة الكلام.

وهذا التباين في مدلول اللفظ جعل القبائل العربية تفخر فيما بينها في أن بعض القبائل توافق مدلولات ألفاظها ما جاء في القرآن من ألفاظ، ومن ذلك أن أهل مكة قالوا لمحمد بن المناذر الشاعر: ليست لكم معاشر أهل البصرة لغة فصيحة، إنما الفصاحة لنا أهل مكة، فقال ابن المناذر:

---

(١) النور: ٤٣

(٢) البعاع المتاع والثقل وبعاع السحاب ثقله بالمطر ، وهذا البيت قاله امرؤ القيس: وألقى بصحراء الغبيط بعاعه *** نزول اليماني ذي العياب المخول :ينظر: جمهرة الأمثال ١٧٤/١.

(٣) ينظر: صفاء الكلمة : ٦.

أما ألفاظنا فأحكى الألفاظ للقرآن، وأكثرها له موافقة فضعوا القرآن بعد هذا حيث شئتم: أنتم تسمون القدر [برمة]، وتجمعون البرمة على [برام]، ونحن نقول: [قدر] ونجمعها على قدور، وقال الله عز وجل:

﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾⁽¹⁾، وأنتم تسمون البيت إذا كان فوق البيت [عليّة] وتجمعون هذا الاسم على [علالي] ونحن نسميه [غرفة] ونجمعها على [غرفان أو غرف]، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾⁽²⁾ ، وقال: ﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ ﴿٣٧﴾﴾⁽³⁾ .

وأنتم تسمون [الطلع]: الكافور والإغريض، ونحن نسميه الطلع، وقال الله تبارك وتعالى: ﴿وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾﴾⁽⁴⁾.

يقول الجاحظ: ((فعد عشر كلمات، لم أحفظ منها إلا هذا))⁽⁵⁾.

---

(١) سبأ: ١٣
(٢) الزمر: ٢٠
(٣) سبأ: ٣٧
(٤) الشعراء: ١٤٨
(٥) البيان والتبيين: ١ /١٨ – ١٩.

المبحث الثالث

اختيار المفردة وموافقتها للانسجام الصوتي

إن الصوت- كما يقول الجاحظ- هو آلة اللفظ، والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف، ولن تكون حركات اللسان لفظاً، ولا كلاماً موزوناً ولا منشوراً إلا بظهور الصوت، ولا تكون الحروف كلاماً إلا بالتقطيع والتأليف.(١)

والصوت له قيمة سمعية في اللغة العربية، فهذا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، يذهب إلى بيت أخته ليبطش بها بعد أن نما إلى سمعه، أنها وزوجها قد أسلما ولكنه حين يقرأ الصحيفة التي بيدها، وفيها آيات من سورة طه، لم يستطع الوقوف أمام بيان القرآن وروعة نظمه، فسرعان ما سكن غضبه وهدأت نفسه وقال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه، دلني يا خباب على محمد صلى الله وسلم، حتى آتيه فأسلم.(٢)

فالقرآن الكريم يمثل وحدة موسيقية لا تخضع لوزن الشعر، بل لوزن الوجدان والنفس.(٣)

وإننا إذا ما قرأنا كتاب الله عز وجل نجد النغمة الموسيقية الكامنة في التركيب والتي تخيل، لو تغير نظامه، فالله عز وجل قد علم نبيه صلى الله عليه وسلم الترتيل وهو علم أمته ذلك الترتيل، وليس الترتيل مجرد القراءة، إنما الترتيل قراءة منغمة تنغيماً يظهر التناسق في الحروف والجمل والآيات، ويكشف معانيها ونغماتها، وتلك هي موسيقى القرآن.(٤)

ولنأخذ نماذج من القرآن الكريم تظهر هذا التناسق العجيب والمؤثر في النفوس من خلال ترابط الجمل والحروف في أواخر الآيات.

---

(١) البيان والتبيين: ١ / ٧٩.
(٢) تفسير القرطبي: ٤٢٠٤.
(٣) الإعجاز الفني في القرآن : ٢٢٢، وينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني: ١٨.
(٤) ينظر: المعجزة الكبرى: ٢٧٨. والتعبير الفني في القرآن الكريم: ١٩٢.

قال تعالى: ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ (٢) إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا (٣) قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ ٱلْعَظْمُ مِنِّي وَٱشْتَعَلَ ٱلرَّأْسُ شَيْبًا وَلَمْ أَكُنۢ بِدُعَآئِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤) ﴾(١).

فلو حاولنا أن نغير فقط وضع كلمة "مني" فنجعلها سابقة لكلمة "العظم" قال رب إني وهن مني العظم لأحسسنا بما يشابه الكبير في وزن الشعر، ذلك أنها تتوازن مع (إني في صدر الفقرة هكذا:

((قال رب إني)) ((وهن العظم مني))

على أن هناك نوعاً من الموسيقى الداخلية، يلحظ ولا يشرح، وهو كامن في نسيج اللفظة المفردة، وتركيب الجملة الواضح وهو يدرك بحاسة خفية، وهبة لدنية.(٢)

إن الجمال الموسيقي في كلام العرب، ومثله في كلام الله تعالى لون من ألوان الإعجاز، لكن القضية في جمالها الموسيقي، لا تقف عند الناحية الصوتية، بل لابد من اتفاق المعنى الذي يتلبس بالصوت الموسيقي ولابد من تناسب صوتي خفيف وهو ما أسماه الأستاذ محمد المبارك بالتناسق الداخلي، وقيمة هذا المعنى ينبغي أن نعرف مصدره لنقدر المستوى البلاغي، إذ مهما كانت المعاني القرآنية فتأتي على صوت غير صورة الكلام البشري.(٣)

أنظر مثلاً إلى سورة الناس: ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ (١) مَلِكِ ٱلنَّاسِ (٢) إِلَٰهِ ٱلنَّاسِ (٣) مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ (٤) ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ (٥) مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ (٦) ﴾(٤)؛ فإن تكرار السين في أواخر الكلمات يوحي في النفوس ما للوسوسة من وقع في الصدور وكأنه تجسيم حي للوسوسة الصادرة من الشيطان في نفس البشر.

---

(١) مريم: ٢ - ٤

(٢) ينظر: البناء الصوتي في البيان القرآني : ٣٣.

(٣) ينظر: دراسات في الإعجاز البياني: ٣٤، ٣٧.

(٤) الناس: ١ - ٦

ومن ذلك أيضاً هاء السكت في قوله تعالى: ﴿وَٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَهِيَ يَوۡمَئِذٖ وَاهِيَةٞ ١٦ وَٱلۡمَلَكُ عَلَىٰٓ أَرۡجَآئِهَاۚ وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ ١٧ يَوۡمَئِذٖ تُعۡرَضُونَ لَا تَخۡفَىٰ مِنكُمۡ خَافِيَةٞ ١٨ فَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَيَقُولُ هَآؤُمُ ٱقۡرَءُواْ كِتَٰبِيَهۡ ١٩﴾ (١)

هل هذا الجمال الموسيقي لوجود هاء السكت في فواصل الآيات هو الذي أضفى سر جمال الآيات أم التأثير الموسيقي الذي لحق العديد من الكلمات في أواخر الآيات أعطى هذا الجمال والروعة في النفوس.(٢)

على ما أظن أن سر الجمال والروعة الذي يحدث أثره في النفوس من خلال تلاوة الآيات السابقة، قد جمعه مدلول الآيات والمعاني والتراكيب مع التأثير الموسيقي وهذا هو سر إعجاز القرآن في نظمه وتراكيبه ومدلولاته وهو دليل على أنه من عند الله عز وجل وهو الخبير بما يحيط في النفس البشرية من تأثيرات تهيمن على مشاعر الإنسان لتؤثر فيه الكلمات المعجزة في نظمها وسر جمالها الصوتي وما تحويه من معاني عديدة.

---

(١) الحاقة: ١٦ ـ ١٩

(٢) ينظر: دراسات في الإعجاز البياني: ٣٤، ٣٧.

الخاتمة

لا يستطيع دارس أن يقف في دراسته عند حد معين في الحديث عن الأعجاز القرآني ؛ وذلك لغناء النص القرآني وسعة معانيه وتعدد جوانبه التي لا يحدها وجه ولا تُحددها فكرة.

ويمكن أن نجمل جملة من الملاحظات والأمور التي تخص بحثنا هذا منها

١- على الباحث في دلالة الألفاظ أن يتفقد سياق الكلام ليثبت ما هو أحق منها بالتعبير.

٢- إن الألفاظ القرآنية لها بناء صوتي يمكن ملاحظته من خلال تتبع الآيات القرآنية وخاصة تلك التي لها انسجام صوتي واحد يظهر في أواخر الآيات.

٣- لطافة العبارات القرآنية مقارنة بألفاظ العرب ؛ وذلك لما للفظة القرآنية من فصاحة العبارة.

وفي الختام أدعو من الله أن يفتح أمامنا آفاق التتبع لمواضيع الإعجاز ذات الأهمية والقيمة العلمية.

والحمد لله أولاً وآخراً وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المصادر

١- الإعجاز الفني في القرآن للأستاذ عمر السلامي

٢- إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي ، دار الكتب العربي بيروت – لبنان.

٣- البناء الصوتي في البيان القرآني للدكتور محمد حسن شرشي، الطبعة الأولى ١٤٨٨هـ – ١٩٨٨م ، دار الطباعة المحمدية – القاهرة

٤- البيان والتبيان للجاحظ ، تحقيق عبد السلام هارون – القاهرة ١٩٧٥م

٥- بيانات المعجزة الكبرى :للدكتور ضياء عنتر ، طبعة حلب ١٣٩٥هـ

٦- تحرير التحرير لعبد الواحد بن عبد العظيم ١٣٨٣هـ ، تحقيق الدكتور حنفي محمد شرف، الطبعة الأولى المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية– القاهرة.

٧- التعبير الفني في القرآن الكريم، لبلري شيخ أمين ، الطبعة الأولى ١٩٩٤م دلر العلم للملاين – بيروت – لبنان.

٨- تفسير القرطبي للإمام أبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي – طبعة دار الشعب.

٩- جماليات المفردة القرآنية أحمد باشوف ، رسالة ماجستير في الآداب (الدراسات الاردنية) إشراف الدكتور نور الدين عنتر دار المكتبي الطبهة الأولى ١٩٩٤م، دمشق – سوريا.

١٠- دراسات في الإعجاز البياني تأليف الدكتور محمد بركات حمدي أبو علي استاذ البلاغة العربية والبيان القرآني بالجامعة الأردنية الطبعة الأولى ٢٠٠٠م ، دار وائل للطباعة والنشر.

١١- دلالة الألفاظ للدكتور ابراهيم أنيس الطبعة الثانية ١٩٦٠م مكتبة الآنجلو المصرية – القاهرة.

١٢- دقائق الفروق اللغوية في البيان القرآني للدكتور محمد ياس ، رسالة دكتوراة كلية التربية (ابن رشد) جامعة بغداد ٢٠٠٥م.

١٣- السلوك: لتقي الدين أبي العباس أحمد بن على بن عبد اقادر العبيدي المقريزي (ت٨٤٥هـ)، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – لبنان بيروت ، الطبعة الأولى- لسنة (١٤١٨- ١٩٩٧).

١٤- صفاء الكلمة تأليف الدكتور عبد الفتاح لاشين ، دار المريخ للنشر ، مطبعة الرياض.

١٥- طبقات الشافعية الكبرى لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة (ت٨٥١)، تحقيق د. الحافظ عبد العليم خان ، عالم الكتب – بيروت – الطبعة الأولى ، ١٤٠٧هـ .

١٦- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني دار إحياء التراث العربي – بيروت – لبنان.

١٧- الوافي بالوفيات ، لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي تحقيق: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث – بيروت ، ١٤٢٠هـ – ٢٠٠٠م.